الحاجة إلى ديبلوماسية (هجومية) في حجم (الحرب المفتوحة) انها الحرب!

غسان تويني

تطرح حربنا هذه، ككل حرب، سؤالها الأكبر: متى، وكيف تنتهي؟ وهل تنتهي حكماً إلى سلام يكون سلاماً، أم إلى "وقف اطلاق نار" يكون مرحلة انتقالية إلى حرب أخرى هي مجرّد استئناف للحرب السابقة، ولو كانت "حرب آخرين"، او "من اجلهم"... مما يطرح سؤالاً آخر: من هم "الآخرون" في حالنا اللبنانية الخاصة؟ وكيف نحدد، وهل لنا في ذلك مصلحة؟

يكتسب السؤال حجمه المقلق وأبعاده المؤرقة لكون الأمين العام لـ"حزب الله" السيد حسن نصر الله، أعلنها "حرباً مفتوحة" –بعدما كان يعلن شروط انتهائها وتالياً شروط السلام! –في حين أن رئيس الحكومة اللبنانية، الاستاذ فؤاد السنيورة، أعلن شروطاً أخرى لإنهاء هذه الحرب التي لم يعلنها ولا هو خاضها وحكومته، بل لعله كان ضحيتها الكبرى، نتيجة مسؤوليته السياسية عن الوطن الذي تحوّل الى مسرح الحرب الجهنمية التي شنتها اسرائيل على شعبه وأرضه ومدائنه، ولا هوادة.

❖❖❖

لو كان اليوم يوم تأمل وتفكير، وكان ذلك ممكناً على وقع القنابل والصواريخ، وما هو بمثابتها من البيانات والاسئلة والهتافات والبلاغات –بلاغات النصر وبيانات التعاسة! – لطرحنا "الاشكالية" الآتية:

ان حروب فلسطين كلها، منذ ١٩٤٨ ومقدماتها من الاعمال الثورية وما شابهها، وصولاً إلى حرب "تبادل الأسرى" في لبنان اليوم، هي حرب واحدة متسلسلة، لأن أهدافها المعلنة والمكتومة، ومن الجانبين بل من كل الأطراف، تخللتها فترات مسالمة لم تتحوّل ولا واحدة منها سلاماً حقيقياً لأن اسرائيل التي نشأت من أولى هذه الحروب التي انتصرت فيها كلها، لم تحسن –وربما لم تشأ –توظيف "انتصاراتها" بتحويلها "سلاماً عادلاً" يدوم بقيام علاقة مع العدو لا تجعله صديقاً حتماً، بل على الأقل أليفاً ومعايشاً وشريكاً في سلام يمنع قيام حرب أخرى من ركام الحرب السابقة، بل من الانتصار الذي انتهت اليه.

فلماذا؟...

وهل محتوم على كل نزاع بين اسرائيل وأي طرف عربي أن يكون "حرباً مفتوحة"، أي لا سلام بعدها، كائناً ما كان حجم الدمار والمآسي؟

❖❖❖

هنا، لا بد من هذه الحاشية التاريخية:

لعل أعظم ما كان يتوق اليه العالم الحديث –إرثاً للحلم المثالي التاريخي الأسمه "السلم الدائم" –هو انشاء مؤسسة دولية تتولى تسوية النزاعات سلمياً وحسم الحروب وترتيب نتائجها، بحيث لا تستمر الحروب تولّد حروباً أخرى إلى ما لا نهاية له.

هذه المؤسسة حاول العالم انشاءها إثر الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -١٩١٨) ، فقامت ولكنها تفجرت نتيجة خروج دول كانت الحروب امتداداً عقائدياً لنزعاتها القومية الاستعمارية. مع هذه الاشارة للتذكير، لعلها تجدي، ان حرب ١٩١٤ نشأت عما كان يصح وصفه بالعمل "الإرهابي" –لو كانت الكلمة آنذاك دارجة –عنينا، لمن لم يقرأ، اغتيال وارث عرش الإمبراطورية "النمسوية –المجرية" (وهو في زيارة لمدينة سارايفو) مما اطلق نزاعات قومية انتهت إلى الحرب.

وكانت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) فتكررت المحاولة الدولية، محصّنة - أو هكذا ظنوا - بمحتوى عقائدي شعبوي للنظرة الأممية، فضلاً عن ترتيبات وتركيبات، امتداداً لأحدث القوانين الدولية، تؤطّر النزاعات ومحاولات معالجتها في حلول وتسويات منعت انتهاء أعظم مواجهة دولية، "الحرب الباردة"، إلى حرب "أبوكاليبتية" تدمر العالم بأسره، نتيجة لوجود السلاح الذري في متناول المتنازعين.

وتمتعت هذه المؤسسة (أي "منظمة الأمم المتحدة") برحابة سياسية وبثقافة سلام جعلتها تحتضن تحول الاعداء العقائديين والقوميين حلفاء (المانيا وفرنسا، ثم اليابان وأميركا، وأميركا والروسيا الخ...) وتينع ضمنها اتحادات اقليمية، ترعى تنوعاً سياسياً رائعاً. كل ذلك، اضافة إلى تحويل الشرعية الدولية التي غدت رمزها اداة لحل النزاعات وعند الحاجة، وفي أقل الحالات، مظلة لحسم بعض الحروب ومعالجة الأزمات الأممية قبل تحولها حروباً... مع هامش لتقبل الفشل ومنعه من ان يتحوّل يأساً من الوصول، ولو بعد حين، إلى حل.

❖❖❖

أوَثمة حاجة إلى أن نفصح، عند هذا الحد، فنقول إن القضية الكبرى التي استعصت معالجتها على الأمم المتحدة هي ما صار يسمى "قضية الشرق الأوسط"، والأحرى، في هذا المقام بالذات، ان نقول انها مجموعة صراعات محورها والمسبب "افتعال" الدولة العبرية، اسرائيل، وبقرار من المنظمة الدولية اياها.... ثم، بما لا نظير له في المفارقات، تزامن تقسيم فلسطين مع قبول تقسيم "القارة الهندية" فتنشأ منها أول دولة "اسلامية"، باكستان، التي، من حيث لم تشأ، أسست لشرعية قيام حركات تهدف إلى جعل الاسلام دين دولة في العالم الحديث، بعدما كان أتاتورك وثورته في الامبراطورية العثمانية عند هزيمتها قد أطلق الاسلام السياسي على طريق العلمانية باعلان انتهاء زمن "الخلافة".

وتلتقي، في آخر الحروب التي يعيشها لبنان، حصيلة المفارقتين: امبريالية الدولة العبرية واصولية الدولة الاسلامية.

تلك هي جذور "الحرب المفتوحة" التي أعلنها الأمين العام لـ"حزب الله"... والتي، إن لم نفقه ابعادها واسرار توجهاتها، سيبقى الشرق الأوسط، ولبنان محوره، "قضية مفتوحة" حتى تتبدل التوجهات العقائدية وينفصل النفط عن اسباب الحروب!...

❖❖❖

إلى أين من ذلك كله، في صدد حرب لبنان الحالية؟

إلى ضرورة التسليم، منطقياً، ببعض القواعد التي يمليها التاريخ المعاصر، اهمها ان لا مصلحة لأحد في الدعوة إلى "حرب مفتوحة"، وخصوصاً اذا كانت ستستظل هذه الحرب نزعات دينية تحرّك أعماق النفس الانسانية والجماهيرية فتذوب عندها المصالح السياسية والاعتبارات القانونية.

من هنا هذا الاقتراح المتكامل لعله يساعد، اذا انطلقنا به في دبلوماسية هجومية غير متسربلة بالحذر والخوف، بل شجاعة خلاقة – يساعدنا، بل يقودنا إلى إقفال ابواب "الحرب المفتوحة" وأبواب "الجحيم" التي انفتحت منها:

لا مخرج للبنان، ومن ورائه العالم العربي برمته إلاّ بتبني الدعوة التي طرحها الأمين العام للجامعة العربية، في ما قد يصبح أعظم وقفة له ولو مرتجلة: دعوة مجلس الأمن، باسم الدول العربية مجتمعة، إلى عقد جلسة استثنائية على أرفع مستوى "سيادي" ممكن، نودعه خلالها "السلام" كقضية، بل وديعة صار حلها علينا مستحيلاً، في ظل الوضع القائم والتصرّفات الحاضرة التي هي بمثابة تكليف لاسرائيل، واقعياً إن لم يكن رسمياً، بتصفية أوضاع فلسطين ولبنان و... استطراداً كل الشرق الأوسط، وصولاً ربما إلى ايران "النووية".

تتبنى الجامعة العربية رسمياً القرارات التي أعلنها الرئيس اللبناني فؤاد السنيورة وتنقلها هي إلى مجلس الأمن، مرفقة بمشروع السلام العربي الذي أقرّ في قمة بيروت (قمة ٢٠٠٢)، مع طلب تحويل ذلك كله قراراً يفرضه مجلس الامن، والدول الكبرى من ضمنه، على اسرائيل، بموجب الفصل السابع من الميثاق.

وبديهي اننا ما كنا لنقترح ذلك لولا اليقين العام ان قضية الشرق الاوسط ما كانت لتتعقد وتستعصي لولا تداخل حروبها ونزاعاتها، من فلسطين إلى ايران، مروراً بالعراق وسوريا طبعاً، نتيجة "حروب الآخرين" الكبار والاصغر منهم قليلاً، التي اتخذت منطقة الشرق الاوسط مسرحاً لها.

يلتزم لبنان بموجب القرار ذاته بسط سيادته على كامل أراضيه، على ان تساعده على ذلك، في الجنوب، القوة الدولية بموجب القرار ٤٢٥ الذي نص حرفياً على ذلك عند إقراره في آذار ١٩٧٨، وتعطى قوة الأمم المتحدة، للقيام بهذه المهمة، صلاحية استعمال سلاحها دفاعياً في وجه اسرائيل (الطامحة إلى العودة إلى نظرية "الحزام الأمني" داخل الاراضي اللبنانية) اذا أصرت هذه على منع انتشار الجيش اللبناني الذي يكون إذذاك في رعاية دولية مهد لها مؤتمر بطرسبرج عندما قررت الدول الثماني المبادرة إلى دعوة مجلس الأمن لارسال قوة طوارئ للمراقبة. ونذكّر هنا بان ثمة قرارات سابقة من مجلس الأمن طالبت بذلك، ولم تنفذ، منذ العام ١٩٨٠،

ترفق الجامعة العربية، باسم دولها كلها، رفع القضية إلى مجلس الأمن، باشارة صارخة إلى انها، اذا لم يقر المجلس مشروع السلام، فهي ستجد نفسها مضطرة إلى اللجوء إلى حرب اقتصادية تدافع بها عن حقوقها بل سلامتها ووجودها. وطليعة هذه الحرب، البديلة من حروبها العسكرية مع اسرائيل، المكلفة إلى حد الاستحالة، قد تكون، مثلاً، قراراً بسيطاً (ثمة سابقة له في السبعينيات من القرن العشرين كانت في غاية الفاعلية) باطلاق اسعار النفط و"تغيير قواعد اللعبة الاقتصادية"، في وجه تهويل اسرائيل بتغيير قواعد اللعبة السياسية والعسكرية!

"النهار" البيروتية

الحرب تحرق بيروت

تقرير من بيروت

الصمود بالحليب والحفاظات والأغطية

المارنيز يخلون الجالية الامريكية

محمد بركات

لا تستوي الحرب حربا من دون نازحين ومهجّرين ومهاجرين، وبالطبع قتلى وجرحى ومشوهين طالتهم القذائف والصواريخ. لكن حين تتواجد مؤسسات المجتمع المدني والنوادي الثقافية الناشطة والمنظمات الشبابية، وحيث ترتفع وتيرة الاندفاع الشبابي وتزيد اعداد المتطوعين والمستعدين للعمل من دون أجر ومن دون مقابل سوى الخدمة العامة، تقل اعداد المآسي، وتزيد فرص الحياة، ويصبح اقلّ قسوة جحيم الحرب.

هذه هي حال بيروت هذه الايام، مع شبان ومتطوعين وناشطين ومندفعين من احزاب وجمعيات ومنظمات شبابية واهلية. جنود مجهولون يملؤون مراكز استقبال النازحين. جنود من دون اسماء في أمرة نازحين من دون أسماء. يعملون ليكون النزوح أقلّ مأسوية.

مركز الاغاثة

المثال الاكثر سطوعا على اغاثة النازحين هو "مركز الاغاثة –الصنائع"، الذي اتخذ من مبنى يموت (زيكو هاوس سابقا) مركزا لعمله الانساني الذي يسعف ١٢ ألف نازح منذ بدء النزوح حتى اليوم، ويؤمن لهم المأكل والملبس والمياه والرعاية المعنوية والجسدية. حتى يتمكن النازح من الاحساس بأنّه في منزل ما من منازل لبنان، وليس في الشارع.

بدأت قصة مركز الاغاثة من فلسطين، وتحديدا من غزة، واكثر تحديدا من ساحة الشهداء في وسط بيروت، حيث كان مقررا ان يكون يوم الاربعاء ١٢ تموز مناسبة لفتح اعتصام تضامني مع منكوبي قطاع غزة الفلسطينيين، الذين يحاصرهم ويقتلهم ويجوّعهم الجيش الاسرائيلي، ويمنع وصول الامدادات المالية والغذائية والطبية اليهم.

لكن رجال "حزب الله" اسروا جنديين اسرائيليين، وبدأ القصف الاسرائيلي على جنوب لبنان، فتوقع منظمو الاعتصام نزوحا من الجنوب ومن ضاحية بيروت الجنوبية، وقرروا ان يتضامنوا مع منكوبي لبنان، الذين ما لبث ان حاصرهم الجيش الاسرائيلي، ويعمل يوميا على تجويعهم وقتلهم وحرقهم ومنع وصول الامدادات اليهم.

هكذا كان نصيب المتضامنين مع الفلسطينيين، ان يتضامنوا مع انفسهم، وان يبدأوا في مداواة لبنانهم، الذي صار غزّة كبيرة، وفلسطين صغيرة، وجحيما لا يوصف.

في اليوم التالي

صباح الخميس ١٣ تموز، تلاقت الجمعيات الفلسطينية والنوادي الثقافية في كل من A.U.B. و L.A.U. وجامعة بيروت العربية، ومنظمات "بلا حدود" و"بابلو نيرودا" و"المجموعة اليسارية المستقلة" و"حلم" و"التجمع اليساري من اجل التغيير" و"فتح" و"الجبهة الشعبية" و"اتحاد الشباب الديمقراطي".

اجتمع ممثلون عن هذه الجمعيات في مسرح "دوار الشمس" في الطيونة وأنشأوا لجنة تنسيق تشرف اليوم على اكثر من ٣٣ مدرسة في بيروت، من خلال اكثر من ١٥٠ شاباً وفتاة تطوعوا في الاسبوع الماضي بناء على دعوات وجهت من خلال وسائل الاعلام، التي تنسق مع "مركز الاغاثة".

المركز يتلقى مساعدات عينية عبارة عن ثياب وطعام، من افراد لبنانيين، ومساعدات مالية من مغتربين وميسورين لبنانيين في الداخل، لكن حتى الآن لم يتلقّ المركز أي مساعدة، لا من الدولة اللبنانية ولا من زواريب المؤسسات الموصولة بشرايين الاتحاد الاوروبي ودوله. وحتى الآن يعتمد المركز على المبادرات الفردية اللبنانية، وعمله على احسن ما يرام.

الحملة المدنية

في المبنى نفسه، مبنى يموت، أنشأت كل من "حركة اليسار الديمقراطي" و"مؤسسة سمير قصير" و"لا فساد" و"الجمعية اللبنانية من اجل ديمقراطية الانتخابات" و"الحركة الاجتماعية" حملة اغاثة موازية" سموها "الحملة المدنية"، وهي بدأت اعمالها فور بدء النزوح، وتغطّي اليوم ٥ مدارس في منطقة الاشرفية، و٥ مدارس اخرى في ساحل المتن، من خلال اكثر من ١٢٠ متطوعا.

هذه المؤسسات، وان كان بعضها، مثل "مؤسسة سمير قصير" و"لا فساد" و"ديمقراطية الانتخابات"، لا علاقة لها بالشأن الاغاثي، ولا خبرة سابقة لها، الا انّها قررت ان تأخذ نصيبها من الحرب، وان تقاوم بالحليب والحفاظات والاغطية.

ايضا هذه الحملة تجمع الاموال من تبرعات افراد في الداخل والخارج ومن تبرعات عينية، وقد أنشأت غرفة تواصل مع لبنانيين في السعودية والامارات العربية المتحدة وفرنسا، أوكل اليهم جمع تبرعات من البلاد التي يسكنونها، ويجري العمل على تأمين متطوعين في دول أخرى. وتتميز هذه الحملة بأنها على تواصل مع مجموعة كبيرة من الاطباء الذين يقومون بجولات ميدانية يومية على المدارس العشر وعلى مدارس ومواقع أخرى، حيث تدعو الحاجة.

اسعار واثمان

كما يرتفع سعر الحياة، وينخفض سعر الموت ليصير متاحا امام الجميع في ازمان الحروب، كذلك ترتفع اسعار المواد الغذائية الضرورية. ليس سبب الارتفاع تقنيا، بل هو تعبير عن الجشع التجاري والفساد البشري المتأصل. هذا الفساد الذي تشكو منه الحملتان، ولا يقتصر على الدكاكين الصغيرة، بل يتعداها الى المخازن الكبيرة، التي رفعت اسعارها كلها، تقريبا، طمعا في جمع ثروة من افواه الجائعين.

الحرب اذا لا تدور فقط على الجبهة، ولا على شاشات الطائرات والتلفزيونات، ولا هي تقتصر على القتلى والجرحى. الحرب تدور في المدارس ايضا، حيث المتطوعون يقاومون يوميا بجهدهم، ويتسلحون بما توافر بين ايديهم.

الحرب لم تعد على الحدود، انها تملأ لبنان كلّه نازحين، ان لم نقل مشردين، وباحثين عن مأوى في هذه المدينة او تلك. مأوى أقلّ خطورة، او يعتقدون انه اقلّ خطورة.

الحرب في الصحافة اللبنانية

فندق في السلم وملجأ في الحرب

كتب المحلل السياسي:

صارت هذه الحرب واضحة الأهداف، ولم تعد تحتاج إلى كثير من التحليل، ومهما حاولنا القول إن الجميع تقريباً يعانون من ويلاتها، تبقى هناك فئة لا حول لها ولا قوة، هي فئة الأطفال والنساء والشيوخ الذين لا طاقة لهم على الإحتمال. نحتاج بشكل عاجل إلى خطة إنقاذ للحفاظ عليهم، فإذا كنا غير معنيين بالجوانب العسكرية، فلنتحول على الأقل إلى معنيين بشؤون الناس. نحن لا نطلب الكثير، فليست المطالب تصحيح الأجور ولا هي تصليح أوضاع الطرقات أو توفير فرص العمل، إنها بكل بساطة توفير الحدود الدنيا لمستلزمات البقاء على قيد الحياة، فالناس لا يُسألون عن قرار الحرب لكنهم يَسألون عن قرار الصمود في الحرب، والمحافظة على الحياة.

❖ ❖ ❖

في الظروف الحالية ليس بالسياسة والدبلوماسية يحيا الناس، هم يحيون بالخبز والدواء والملاذ الآمن والمحروقات، وعندها فلتأخذ الدبلوماسية كل مداها. اطفالُ بلادي وشيوخها ونساؤها ينظرون إلى محطات التلفزيون والفضائيات ويتابعون كيف ان الدول تُرسل حاملات الطائرات، والسفن والمروحيات إلى لبنان لنقل رعاياها، فيما هم يُنقلون كالبضائع بحثاً عن مأوى.

❖ ❖ ❖

لا نريد بلدنا فندقاً في السلم وملجأ في الحرب، نريده وطناً، لقد دفعنا الكثير الكثير لنستحقه في محطات لم تمحها الذاكرة منذ العام ١٩٤٨ مروراً بالأعوام ١٩٦٧ و١٩٧٣ و١٩٧٥ و١٩٨٢ و١٩٩٣ و١٩٩٦! فإلى متى سيبقى هذا الوطن يعيش (فترات) سلم بين حرب وحرب؟

اذا قارنا بين بلدنا وسائر الأوطان لوجدنا اننا الوطن الأكثر تعرضاً للحروب، هذه الحقيقة وحدها كافية لنُطلق صرخة وحيدة: لقد تعبنا من ان نكون (حقل اختبار) لكل الدول ولكل الأنظمة والمنظمات، وحقنا بعد كل هذه الحروب ان نعيش.

إرفعوا أيديكم عنّا.

"الأنوار" البيروتية

ماذا لو استشهد السيد؟

لا سمح الله. هذه ردة فعل أولى لأي لبناني قرأ هذا العنوان، أحب السيد حسن نصر الله او كرهه.

(لا سمح الله) ليست مجرد صلاة. نحن بحاجة إلى بقائه ليس كرمز أمام اسرائيل فحسب، بل لأن بقاءه ربما يجنبنا الحرب الأهلية الهاجمة علينا باسرع من الهجوم الاسرائيلي.

إن طناً واحداً زلزل المنطقة في ١٤ شباط. ونحن نعيش الآن واحداً من تلك الزلازل الإرتدادية للزلزال الأول، التي تناقض قوانين الطبيعة وتكبر وتشتد بدلاً ان تصغر حتى تتلاشى. ماذا عن ٢٣ طناً.

إن مجرد التفكير في احتمال استشهاد السيد مرعب. حين استشهد الرئيس رفيق الحريري اتهمت سوريا باغتياله بناء على مؤشرات سياسية وتصاريح سياسيين من الصف الثاني وما دون وقضية الزيت الشهيرة. ووضعت الجريمة يومها في خانة (قصة موت معلن) واضحة ولا تحتاج إلى نقاش. اسرائيل تبحث اليوم عن الرجل علناً. وإذا ما فعلتها فإن موسيقى الفرح التي سترتفع هناك ستدفع هذا البلد إلى أعنف رقصة موت هنا. سنرقص على الدم وسنغرق فيه.

الهجوم الداخلي لقوى ١٤ آذار على حزب الله بدأ قبل أن تعلن إسرائيل هجومها. ومع ارتفاع نسبة الدم اللبناني والدعم العربي والدولي اللامحدود للهجوم الإسرائيلي، إنتظم هجوم هذه القوى وارتفعت وتيرته حتى باتت هناك حرب مفتوحة من السماء وأخرى مفتوحة على شاشات التلفزيون. وهي حرب شعواء. لا فرق هنا إن صان كبار القوم لسانهم وإفلتوا ألسنة الصغار. إن نائباً سيداً حراً مستقلاً لكنه، مع الأسف، سابق لأنه عجز عن الوصول إلى البرلمان، إن شخصاً كهذا بات قادراً على المشاركة في بثين مباشرين مختلفين مع مذيعين مختلفين في الوقت نفسه. ويزبد فمه ويسيل لعابه وهو يحلل كيف أن المقاومة هي المسؤولة الأولى والأخيرة عن هذه الحرب.

إن النائب الثاني الذي بات يعرّف عن نفسه بأنه (الرجل الذي اطلق الرصاصة الأولى على الإحتلال) يستنكر الوحشية الإسرائيلية ثم لا يزيد كلمة على هذا، ومن ثم لا يعود يحيد عن تهشيم خصمه السياسي الذي هو يد سوريا وإيران في لبنان. صاحب الرصاصة الأولى ينسى بالطبع أن يحلل لنا ولو لمرة النوايا، التي ربما هي خبيثة للولايات المتحدة الاميركية. ينسى أن الأحزاب اليسارية في العالم أجمع تتظاهر اليوم ضد أميركا، الشيطان الأكبر لليسار بكل تدرجات اللون الأحمر فيه.

إن نائباً ثالثاً يعجز عن رؤية صورة المذابح اليومية المتكررة بأنها صنعت في إسرائيل، ويرى في تحليله العميق نوايا مبيتة لحزب الله، أدت إلى ردة الفعل هذه. إن هذا النائب الذي وصل بجمهور غيره إلى المجلس النيابي، والمثير للضجر القاتل، والذي وهبه الله رأساً كبيراً يرى فيه ما هو خلف الحدث، لا يختلف في مضمون موقفه عن مجموعة من (المحللين السياسيين) الذين طافوا فجأة على الشاشات وباتوا كنجمات الفيديو كليب الواحد، اللواتي يتشاركن في هبوط الاداء، وفي الإستسهال، وفي التعري الرخيص. وقس على ذلك.

ثمة قدرة هستيرية على التمسك بخطاب واحد، من رأس الهرم إلى اسفله. لكن المشكلة تقع في هؤلاء الصغار القفازين من شاشة إلى شاشة. لأن لا احد في المقلب الداعم للمقاومة في هذه الحرب المفروضة عليها بات يفصل بين هؤلاء واشباههم وبين كبارهم ممن جلسوا على طاولة الحوار. وفي التطرف الذي يأخذ الجميع إليه، يساهم نجوم تلفزيون الواقع السيء الآن، في تعميق الهوة التي تزداد اتساعاً بين لبنان ولبنان.

هم ليسوا تفصيلاً عابراً في هذه الحرب. هم، في خطابهم الممجوج المكرر، صاروا عاجزين عن إخفاء شدة حماستهم لهذه الحرب ولنتائجها المنتظرة.

هم صغار. لا تطاردهم السماء والبر والبحر. لكن الأسطورة تقول إن حرباً لبنانية أطلقت شراراتها في التاريخ الغابر لعبة هم صغار. لكنهم يخوضون حتى ركبهم في الدم ليصلوا إلى أطلال جسر ليبكوه. هم صغار، ولا يدرون أن اللعبة التي يلهون بها أخطر من أن تترك في ايديهم.

إسرائيل بعثت بإنذار فائق الخطورة إلى لبنان حين قالت إنها استهدفت السيد وقادته بـ٢٣ طناً. الآن بات على الكبار أن يعقدوا الألسنة الطويلة للصغار. آن لهؤلاء أن يدخلوا إلى غرفهم المغلقة ويلعبوا هناك من دون ان يراهم أحد.

ليصمتوا. الصمت ميزة المنتظر المترقب المتحمس. لينتظروا بصمت. ثمة شعب يسحق، وثمة رجل مستعد لأن يستشهد من دون أن يرف له جفن. لكن لبنان بكل أجنحته، غير مستعد ابداً ابداً لتحمل تبعات دمه.

إنه يحارب. دعوه لحربه. تخليكم عنه كاف. فقط اصمتوا، لأنه إن استشهد فستستحون حتى عن توجيه العزاء. لا أحد سيقبل منكم هذا.. وستطالبون بدمه.

إنكم تورطون بلداً في ما لا قدرة له عليه. اصمتوا.. اصمتوا.. وفي صلواتكم من أجل الجسور مروا على الدم البريء المسفوك ظلماً واذكروه بالخير، وصلوا كي لا يطوف هذا الدم اكثر فنغرق فيه جميعاً.. وصلوا من أجل الذي يحارب.. صلوا كي يحميه الله. ليس من أجله صلوا له، بل صلوا له من اجلكم واجلنا. صلوا له من أجل لبنان.

السفير

عودة (المارينز)

هي من المفارقات الغريبة، حزب الله يخوض حرباً، من المحتمل ان تكون آخر حروبه، وقرر ان تكون معركته مفتوحة مع اسرائيل بعدما تجاوزت تل ابيب الخطوط الحمر الميدانية.

مصير الحزب على كف عفريت، فواشنطن تعتبره جزءا من منظومة الارهاب العالمي، والقضاء عليه مسألة حيوية. ولهذا ترفض البحث في أي مقترحات لوقف النار بذريعة ان الهدوء سيسمح للحزب باعادة تجميع قواه ورفع وتيرة تهديداته لاسرائيل.

تل ابيب رأس الحربة وواشنطن الغطاء السياسي والدولي. في المقابل، وهنا المفارقة، بوارج اميركية على مرمى حجر من السواحل اللبنانية، جنود المارينز على الشاطئ للمشاركة في اجلاء الرعايا الاميركيين. وسوى اسرائيل خلف ظهر حزب الله المارينز. صحيح ان مهمتهم انسانية وهم مشكورون عليها، لكنهم بحسب الصراع السائد حاليا الالد عداوة للمقاومة. ويبدو ان حسابات المواجهة غير حسابات السياسة، وان الخطوط الحمر لا تزال قائمة، او على الاقل معمولا ببعضها.

المارينز في بيروت من المفترض ان يكون امرا مستحيلا نظرا للتاريخ الدموي بين الحزب وواشنطن، الا اذا كان الحضور الانساني مقدمة لحوار من نوع ما. حوار بالاشارات والرموز، وليس مباشراً، ويفتح الباب على الحوار الاساسي الذي يجب ان يجرى بين واشنطن ودمشق. فترة السماح لاسرائيل كي تقضي على البنية العسكرية للحزب تكاد تنتهي. والعروض الجدية لوقف النار بدأت تصل بالفعل إلى مجلس الامن، ومن الصعب عدم الاخذ بها، وربما تكون طلائع المارينز احد بنودها الابرز. وعندها تكون مهمة القوة الدولية في الجنوب اكثر تعقيدا ان لم تمر عبر دمشق، وان مرت، فستكون المعركة هذه الاخيرة للحزب.

"البلد" البيروتية